

تمسك سديم بهديتها في حياء ولم تجب متشوقة أن تعرف ما بداخلها، لا لا ليس طمعاً فيما بداخلها ولكنها الهدية الأولى ممّن ملك قلبها ..
- شكراً يا بني... بس ليه تعبت نفسك
- ما فيش تعب يا عمي....أستاذن أنا..

يودع إسلام والد يوسف و سديم وأثناء رجوعه لم يهدأ باله عن التفكير في صديقه ترى أين أنت يا يوسف؟

هكذا قالها في نفسه ليقطع شروده صوت سائق السيارة التي كادت أن تصدمه.
- مش تحاسب يا أستاذ؟
يمسك بهاتفه ليتصل بيوسف ولكن الهاتف مغلق.

تجلس سديم في غرفتها أمام هديتها تتأملها وكيف بريقها اللامع ورائحتها الطيبة ...تبدأ سديم في تفقد هديتها لتجد ما قد يخطف قلبها ..

نقاب جديد مع مجموعة متنوعة من الشوكلاتة و باقة من الورد خطفت عقلها...يرقص قلبها من شدة فرحها تمسك بتلك الباقة لتأخذ شهيقاً منها ينعش رئتيها من جديد.

يجلس على مكتبه أمامه فنجان من القهوة شارد الفكر لا يهدأ له بال... ليقطع شروده صوت زوجته..
- جمال...ما لك يا بابا سرحان في إيه؟
- ها... لا يا حبييتي ما فيش.
- إزاي بس؟....قهوتك بردت.

لم يجد والد يوسف مفراً من الأمر فهي تعرفه وكيف لا وهي بجانبه قرابة العشرين عاماً؟..
- يوسف...شكله رجع زي الأول.....مش عارف ليه مش زي إسلام صاحبه؟
قالها والد يوسف بنبرة تعتليها الحزن والأسى لتواسيه زوجته قائلة :
- ربنا يهديه يارب.

يستيقظ من نومه ليجد نفسه ملقى على السرير يغطي فراشه جزءاً من جسده وتك الفتاة على نفس حالته..
لم يتذكر يوسف ما حدث بالأمس ولم يعاتب نفسه كما فعل في المرة الأولى ...ثرى هل غلبته نفسه أم أنه أصبح يتلذذ بمعصية الخالق؟.....هل أصبح على قلبه طبقة من الران تمنعه من محاسبة نفسه الأمارة بالسوء؟ولكنه في النهاية أشعل تلك السيارة التي وجدها بجانبه ...لم تكن من عادته التدخين ولكن أصبحت نفسه تطوق لفعل المنكرات....تستيقظ تلك الفتاة على رائحة تلك السيارة لتتذكر إلى يوسف وهي تبتسم.....

يمسك والد يوسف الهاتف محاولاً الوصول إلى يوسف ولكن لا جدوى فالتليفون مغلق، والأمر أصبح خطيراً...لم يخبرهم يوسف أنه سيبيت خارج المنزل....

يبحث عنه في كل مكان بالكلية ولكن لاجدوى....يقطع رنين هاتفه بحثه.

- إيه يا إسلام؟

- إيه يا إسلام ... أنت فين يا يوسف ومختفي من إمبراح وعمي قلقان عليك وقافل تليفونك؟

- مانا قولتلك عند فادي صحبي في إيه؟

- فادي!!!! لا أنت ماقولتليش.

لم يدرك يوسف أنه ذل بلسانه إلا على صوت صديقه وهو يقول:

- فادي تاني يا يوسف أنت مش بتحرم؟ طيب إنت فين دلوقتي؟

- أنا مروح البيت تعبان شوية.

أنهي يوسف الاتصال بعد معاتبة إسلام له...ولكن الآخر قلبه ليس مطمئناً لذلك الأمر، وقد ظهر ذلك على صوت يوسف ...

هل يعقل أن يكون تتأرجح الافكار في عقل إسلام ليتذكر ما حدث لفادي وسبب سفره للخارج

وخوف والده من أن يفضحه فهو ابن لصاحب توكيل سيارات في مصر ليجد نفسه يقول:

- مالهاش تفسير غير كدا.....ولكن أحسن الظن يا إسلام.

يغادر يوسف فيلا فادي مسرعاً متجهاً إلى بيته بعد أن هاتفه والده والأمر أصبح مقلقاً.

- ها ...طمينيني عملتي إيه.....قالها فادي موجهاً كلامه لسوزي.

- كل خير يا فادي... خلاص بقي خاتم في صباغي ومقتنع إنه غلط معايا زي ما كان بيقولي فوق...قالتها سوزي وهي تضحك بشدة.

- وهو معملش حاجة؟

- أبداً ولا ديه ولا المرة الأولى....حتى بعد ما شرب السجارة ومبقاش في وعيه نام على طول.

- طول عمره خايب..... لسه أنا وراك يا يوسف لحد ما امحيك من على وش الدنيا.

شعرت سوزي للحظة أن فادي يخطط لشيء ما وأنها تساعد على ذلك ولكنها لا تعلم ما ينوي.

يصل يوسف إلى منزله ليجد والدته في انتظاره.... ترى والدته يوسف ابنها في حالة غير متزنة...يدق

الخوف قلبها ولكنها استجمعت قوتها لتصفع يوسف على وجهه جعلته يستيقظ مما هو فيه.....تبكي الأم

على ابنها فكانت دمعاتها أسرع من صفعتها...انهمرت الأم في البكاء على ابنها الوحيد فمظهره يدل على تعاطيه لشيء ما ..

يحاول يوسف إرضاء والدته بتقبيل رأسها ويدها ولكنها لم تعطي له اهتماماً فقالت ونبرة الأسى تعتليها:

- روح فوق نفسك قبل ما أبوك يشوفك بمنظرك ده يجراه حاجة.

يتجه إلى غرفته متثاقلاً تحمله قدمه بصعوبة يبكي على حاله وعلى ما وصلت إليه والدته يلوم نفسه على فعلته ولكن لاجدوى تملكته منه نفسه الخبيثة.

- معقولة أنا التزمت عشانها؟

قالها يوسف معاتباً نفسه وهو يلقي بجسده على سريره ليغوص في نوم عميق.

تتصاعد رنات هاتفه ليتفاجأ إسلام بأن المتصل هو والد يوسف ليسرع في الرد.

- السلام عليكم يا عمي.
- وعليكم السلام يا بني.
- علوزك يا إسلام يا بني في موضوع بس بيني وبينك وبعيد عن الشغل والكلية والبيت.
- تحت أمر حضرتك يا عمي...

الفصل التاسع عشر

(مكر ودهاء)

يصل إسلام إلى إحدى الكافتريات على ضفاف النيل ليجد والد يوسف في انتظاره .. يبدو عليه القلق.

يجلس إسلام بعد أن ألقى السلام على والد يوسف يبدأ الأخير بالحديث.

- معلش يا بني أنا عطلتك بس الموضوع ده إنت المناسب ليه؟

- ماتقولش كدا يا عمي أنا زي يوسف.

- يوسف..... يوسف تعبني أوي يا إسلام.

- ليه يا عمي؟ حصل إيه؟

يفرغ والد يوسف ما يحتويه صدره من ألم بسبب يوسف..... وفي نهاية الأمر يطلب منه أن ينقذه مما هو مقبل عليه.

- يا عمي يوسف بالنسبالي أكثر من أخ وربنا يعلم وإن شاء الله أنا معاه والله المستعان.

- ربنا يبارك فيك يا بني.

اطمأن قلب والد يوسف قليلاً مما قاله إسلام.

يعلو رنين الهاتف ليجيب متلهفاً قائلاً:

- عاش من سمع صوتك يا أيدي.

- معلش يا فادي كان عندي شوية مشاكل مع ماما في البيت قالتها هايدي ثم تابعت حديثها قائلة:

- أخبار الخطة إيه؟

- عال العال أووي قرب يستوي المرة الجاية هزودله العيار وسوزي قايمة بالواجب هخليه يجيلك راكم.

كانت كلمات فادي تحمل الحقد والكراهة والانتقام من يوسف ... جمعهما الكراهة والحقد سوياً في صدفه لم

تكن تجمعهما هكذا فهي تعرفه منذ أن كان يعيش بمصر وتسعى خلف كل من معه أموال فعشقها للدنيا

جعلها تستغني عن حياتها وعفتها وكرامتها...

استمعت سوزي لما قاله فادي وتلك المؤامرة التي يقوم بها بالاشتراك مع هايدي لتدمير يوسف، ياله من

مكر ودهاء! ... ولكن من هايدي التي تعاون فادي؟ هكذا سألت حالها.....

وبعد مرور إسبوع

يصل يوسف إلى الجامعة ليجد إسلام ينتظره.

- إيه يا يوسف؟ وحشني يابني أسبوع يا يوسف؟ كدا تتهرب مني ماشوفكش قالها إسلام وهو يمزح مع يوسف.

- معلى يا إسلام مشغول شوية مع بابا في الشغل وكدا قالها يوسف ويعلم إسلام أنه يكذب عليه.
جلس الصديقان سوياً ليتحدث إسلام مع يوسف محاولاً معرفة ما يخفيه عنه ولكن لا جدوى، أصر الأخير على الهروب من فضول إسلام ..

يقطع حديثهما رنين هاتف يوسف ... لحظات ويترك إسلام وحيداً غارقاً في بحر أفكاره متسائلاً: ترى من الذي اتصل به؟.

يذهب يوسف إلى المكان المتفق عليه ليقابل فادي ويعطيه ما طلب منه تلك السجارة التي أوقعت يوسف في شباكها ... وقع يوسف ضحية لهؤلاء الذئاب ترى هل سينجو؟....
وفي الليل.....

يدخل يوسف إلى بيته متسللاً إلى غرفته حتى لا يراه أحد ويعكر صفو دماغه ألقى بجسده المنهك على سريره

يستيقظ من نومه ولا يدري كم الساعة الآن لم يعد يبالى للوقت ضُيعت صلاته وهجر مصحفه وترك ذكره وأصبح غريقاً في بحر شهواته ... طنين يؤلم رأسه كطنين النحل الدوي لم يهدأ حتى دخل ليلقي على جسده الماء البارد علّه يهدئ من ألمه.
يخرج يوسف من غرفته مرتدياً ثيابه الأنيقة ... يلقي السلام على عائلته ويسرع بالخروج حتى لا يوقفه أحد..... يعتصر قلب والدته من أجله فهي التي تعلم ما به ولا تستطيع أن تخبر أحد بذلك الأمر.

يعلو رنين هاتف إسلام ..

- السلام عليكم ياعمي.

- وعليكم السلام يابني ... لسه نازل أهو.

- ماشي تمام ياعمي أنا هكلمه.

أنهى يوسف المكالمة ثم اتصل بيوسف.

- السلام عليكم يا يوسف.

- وعليكم السلام يا إسلام.

- عاوز أشوفك محتاج أتكلم معاك في موضوع.

- معلى يا إسلام عندي معاد دلوقتي ومتأخر عليه.

أنهى يوسف حديثه وأقفل الهاتف..... نبراته لم تُطمئن إسلام فهو يعلم صديقه.

يصل يوسف إلى ذلك المكان المشؤوم بسرعة البرق لم لا؟ وقد أصبح لا يهتم إلا بتلبية نداء شهواته، تبدأ الحفلة من جديد ولكن تشعر سوزي بريية تجتاح قلبها على يوسف من تلك المؤامرة التي يديرها فادي وهايدي... هل حقاً أحبته لتلك الدرجة رغم أنه لم يلمسها كما خُيل له؟ ، شعرت بالخطر عليه فأسرعت بالجلوس بجانبه لمنع فادي من وضع أي شيء ليوسف... اكتفى يوسف بشرب تلك السجارة فهي كفيلة لتدميره... وما بين الصخب والنصب يظهر إسلام في وجه يوسف ليتفاجأ الأخير من هو المنظر.. توقفت الموسيقى ينظر إسلام ليوسف نظرات كادت أن تقتله.. تسقط تلك السجارة من يد يوسف من هول تلك النظرات ثوانٍ معدودة من الصمت القاتل ليقطع ذلك الصمت صوت فادي:

- أهلاً بعم الشيخ إسلام أقعد بيتك ومطرحك.

- بص يافادي أنا ماليش كلام معاك ومش جايلك أنا كلامي مع الاستاذ، وينظر تجاه يوسف.

شعر يوسف بالإحراج من كلام إسلام ليزيد فادي غيظه ويقول:

- والأستاذ مش صغير ولا أنت ولي أمره.

- أه ولي أمره، قالها إسلام بتلقائية ليتفاجأ برد يوسف القاتل.

- ولي أمر مين يابابا ... أنت نسيت نفسك ولا إيه ولا عشان خلاص خطبت أختي بقيت ولي أمري ... فوق يا إسلام واعرف إنت إيه وأنا إيه؟ أنا يوسف ابن الباشمهندس جمال المصري ... ولا انت شكلك مناسبنا طمع بقى ...

تتعالى ضحكات الجميع من سخريه يوسف لصديقه إسلام ... شعر إسلام بمن يذبحه ولكن بسكين بارد تمزق أوتار حنجرتة..... تمالك إسلام نفسه حتى شعر بقدميه تأخذه للخارج ظل يمشي بين الطرقات وحيداً غير مصدق ماسمعه للتو من يوسف ... خانتة دموعه لتسقط على خديه .. ويسأل حاله:

- معقولة يوسف يقولي كدا..... أنا مش عاوز النسب ده خـ..

لم يكمل كلماته لتصطدم بجسده النحيل تلك السيارة المسرعة ليرتطم جسده بالأرض معلنا صوت تحطم عظامه ...

انطلقت السيارة مسرعة مخلقة وراءها إسلام وهو غريق في دمائـه....

جلس يوسف يعاتب نفسه على ما فعله بصديقه يشعر بالندم حيال ما فعله ..

- أيوة بقى هو ده يوسف اللي أعرفه.

- فادي بقولك إيه ابعده عني السعادي أنا مش طايق نفسي.

تدرك سوزي الوضع وتعلم أن فادي يخطط لشيء ما فطلبت من يوسف أن يصعد ليرتاح قليلاً.. شعوره بالندم سيطر عليه ليخرج هاتفه ليتصل بصديقه لعله يدرك ماقد حطمه للتو.

يعلو رنين هاتفه ولكن يأبى أن يجيب، ظل يوسف يرن حتى أجاب ولكن من هذا:

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام إنت مين؟

- حضرتك صاحب التليفون ده عمل حادثة وإحنا بيه في المستشفى.

يقع الخبر كالصاعقة على يوسف كالصاعقة التي أودت بحياته لم يُخيل له في مرة أن مكروهاً يصيب صديقه.

يستقل سيارته مسرعاً بعد أن علم أين هو وتتساقط دموعه ويردد بحزن قاتل:
- أنا السبب.....أنا السبب.

الفصل العشرون

(ندم وبكاء)

ظل يوسف يردد تلك الكلمات إلى أن وصل المشفى.....
انطلق مسرعاً إلى قسم الاستقبال ليسأل عن صديقه....شعر بأن لسانه توقف عن الكلام من شدة هلهة فكل مايطراً في باله هو موت صديقه وأنه السبب في ذلك....
شعر يوسف بشيء من الراحة عندما أعلمه قسم الاستقبال أن صديقه ما زال على قيد الحياة ولكن في غرفة العملياتحالة من الارتباك تسيطر على يوسف ولا يدري ماذا عليه أن يفعل؟ ...
لم تحمل قدماه أكثر من ذلك فجثا على ركبتيه أمام الباب المؤدي إلى غرفة العمليات..وكأنه شل عن الحركة...ظل يوسف شارد الفكر يتذكر صديقه ومحبه له، تذكر كل ما جمعه على خير معه، تذكر كلماته القاسية التي خرجت منه كالسهم ووقعت في قلب صديقه والإحراج الذي سببه له وسط أصدقائه...تجمدت الدمعات داخل عينيه رافضة البكاء لقسوة قلبه ولكنه أطلق العنان لنفسه بالبكاء على حاله وعلى ما وصل إليه صديقه بسببه ...
انتفض من مكانه فزعاً بعد أن ربت الطبيب على كتفه....
- ها يا دكتور طمني إسلام بخير؟
- حضرتك تقربله إيه؟
- صاحبه وزى أخوه كدا.

ينفجر يوسف بالبكاء كأنه بركان خامد معلناً لحظة انفجاره مما سمعه من كلام الطبيب.... أخبره الطبيب أن حالة صديقه في وضع خطر... أُصيب بكسر في الجمجمة مما أدى إلى نزيف داخلي في المخ بسبب شدة الاصطدام وارتطام جسده بالأرض مع كسور في بعض الأضلع اليميني.
- دلوقتي هيكون تحت الملاحظة في العناية المركزة ادعيله ربنا يتم شفاؤه على خيرقالها الطبيب وهو يربت بيده على كتف يوسف
وقف يوسف وسط المشفى مشلولاً لا يدري ما يفعله الآن ولكن كل ما خطر بباله أن يخبر والده....ولكن ينظر إلى ساعته وقد قارب الوقت منتصف الليل لكنه لا يملك خياراً آخريمسك بهاتفه ويتصل بوالده - السلام عليكمقالها يوسف ونبرته لم تُطمئن قلب والده.
- وعليكم السلامما لك يابني؟
- بابا أنا في المستشفى ..إسلام عمل حادثة وحالته خطيرة وأنا مش عارف أعمل إيه؟

قالها يوسف وهو يبكي انتفض الوالد من مكانه من هول ما سمعه.

- مستشفى إيه يابني؟ ..

أسرع والد يوسف في تغيير ملابسه لتستيقظ زوجته متسائلة:

- في إيه ياجمال؟ ... رايح فين في الوقت ده؟

استقل سيارته قاصداً المشفى بعد أن أخبر زوجته بما حدث وأوصاها ألا تخبر سديم بأي شيء .. ترك زوجته وهي تبكي وتدعو الله أن ينجي إسلام فلقد أخذ مكانه غالية بين قلوبهم جميعاً..

انتفض من شروده بعد أن ربت والده على كتفه..

- طمني يابني هو فين دلوقتي؟

يرتمي يوسف بين أحضان والده يبكي ويقول:

- أنا السبب يابابا أنا السبب ...

أطال يوسف البكاء بين يدي والده وهو يردد تلك الكلمات ... مرت عدة دقائق وبعدها هدأ يوسف ثم جلس مع والده وبدأ يقص على والده ماحدث بينه وبين إسلام

انفعل الوالد لذلك الأمر بشدة فهو يعلم تمام العلم أن إسلام لم يتقدم لابنته طمعا في أموالها فأسرع قائلاً:

- إنت إزاي تفكر كدا في صحبتك؟ .

شعر يوسف بالندم والأسى على ما بدر منه تجاه صديقه داعياً الله أن يتم شفاءه على خير.

يتصل يوسف بمحمد زوج إيمان بعدما أخبره والده أنه لابد أن يخبر عائلته...

حالة من الفزع تسيطر على قلب محمد بعد أن أخبره يوسف بما جرى.... استأذن من عمله ليمسك بهاتفه ويتصل بزوجه :

- السلام عليكم ... إيمان اجهزي حالا أنا جاي البيت هנוصل مشوار سوا.

- وعليكم السلام... مشوار إيه؟ ومال صوتك؟.

- أما أجيلك.. اجهزي بس.

أغلق هشام الهاتف تارك الشكوك تداعب قلب إيمان والقلق يسيطر عليها .. يصل **هشام** إلى بيته ليجد إيمان كما طلب منها ... اقترب منها وأمسك بكلتا يديها واضعاً قُبلة على جبينها.....

انهارت إيمان بين يدي زوجها بعد أن أخبرها بما حدث لأخيها لم لا وهو أخوها وأبوها؟، بل كانت تخاف كأنه ولدها كان لها ذلك البئر الذي ترمي بأسرارها فيه ...

دقائق قليلة وهذأت بين ذراعي زوجها من شدة إجهادها ... ذهبا سوياً إلى والدتها ليقع عليها الخبر كما وقع على ابنتها اطمأن قليلاً بعد أن أخبرها محمد أن إسلام تعرض لبعض الكدمات فقط..

وفي الطريق إلى المشفى تتصل إيمان بسديم ظناً منها أنها علمت ماحدث:

- السلام عليكم إزيك ياسديم؟، قالتها إيمان وصوتها يُوحى بالبكاء.

- وعليكم السلام ...مالك يا إيمان في إيه؟

علمت إيمان أن سديم لم تعرف بعد بما حدث لإسلام ... ثم صمتت لثوانٍ قليلة وأجابت:

- طيب ياسديم هرجع أكلمك عشان محمد جنبى.

أغلقت سديم الهاتف ولكنها لم تتوقف عن التفكير... نظرت إلى الساعة فتجدها قد قاربت على الواحدة بعد منتصف الليل مما زاد قلقها فتمتمت قائلة:

- قلبي اتقبض ليه كدا... يارب استرها.

قامت سديم من فراشها لتتوضأ وتقف بين يدي ربها استوقفتها شهقات بكاء والدتها من داخل الغرفة مما زاد من قلقهالم تستطع أن تنتظر أكثر من ذلك فاتجهت إلى تلك الغرفة لتعرف ما يبكي والدتها....دلفت إلى الغرفة بعد أن سمحت لها والدتها.

- مالك يا ماما في إيه؟

- لا يا حبيبتي مافيش..

لحظات قليلة حتى يعلو صوت هاتف الأم مما زاد من قلق سديم ...أخذت الأم هاتفها وأجابت في غرفة أخرى.....رجعت الأم إلى ابنتها وعلى وجهها علامات الحزن والقلق..

- مين ياماما اللي اتصل بيكي؟

- ده بابا.

زاد قلق سديم مما سمعته وتساءل نفسها وأين أبي في ذلك الوقت؟ فكل ما دار ببالها أن أمراً أصاب أخاها

- ماما ...يوسف حصله حاجة؟

- لا يا حبيبتي يوسف بخير ..بس

- بس إيه؟

حالة من البكاء الهستيرى سيطرت على سديم فور سماع ذلك الخبر ليُغشى عليها بعد لحظات قليلة... تصرخ الأم عندما رأت ابنتها لا حراك لها.....

تصل عائلة إسلام إلى المشفى والفرع يسيطر عليهم جميعاً.

- طمنوني ابني جراه إيه؟، قالتها والدته إسلام ودمعاتها تسبق كلماتها.

- بخير يا أمي ...هو بس في العناية تحت الملاحظة، قالها يوسف بنبرة ندم

سمح الطبيب لوالدة إسلام وأخته أن تدخل تراه من خلف الزجاج بعد أن أشفق عليها من حالتها ...

مُلقي بجسده على السرير لا حراك له، ليس له حول ولا قوة، لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، تغمر أسلاك

الأجهزة جسده الهزيل، تصدر صفيراً يدل على أنه مازال على قيد الحياة..

لم تتمالك والدته نفسها من هول المنظر فأخرجتها إيمان من الغرفة

يصل الوالد إلى بيته بعد أن اتصلت به زوجته وأخبرته بما حدث .. يشعر الوالد بالقلق على ابنته:

- يا بنتي خليكي ارتاحي شوية وبكرا هوديكي، قالها الوالد بعد أن استعادت ابنته وعيها.

- أرجوك يابابا وديني أنا بقيت كويسة خلاص. قالتها سديم وهي تبكي.

تسرع سديم في تغيير ملابسها بعد أن وافق والدها على اصطحابها إلى المشفى

تصل سديم ووالدها إلى المشفى لترتمي بين يدي إيمان وهي تبكي:

- هو عامل إيه دلوقتي يا إيمان؟

اكتفت إيمان بالبكاء مع ضمها إليها بشدة ...

أسرعت سديم متجهه نحو والدته إسلام وتطمئنهما قائلة: